إشكالية العلاقة بين الاستبداد والإرهاب ومنهجية القرآن في العلاج

د. رمضان خميس زكي الغريب
جامعتي قطر والأزهر

الملخص:

تدور فكرة هذه الدراسة حول جدلية العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب، ومدى التلازم بينهما، ومنهجية القرآن الكريم في علاج هذه القضية، ومدى قربنا أو بعدنا في واقعنا المعيش عن التفاعل مع هذا العلاج الصادق.

وقد تأملت في الدستور الخالد الذي أنزله الله هداية للبشرية، وعصمة لها من الزيغ والانحراف بشتى صوره وتنوع أساليبه، فوجدته يرصد علاقة بينة المعالم، واضحة الملامح، جلية القسمات، في إبراز جانب مهم من جوانب العلاقة بين الإرهاب والاستبداد بمختلف ألوانه فكريا وسياسيا واجتماعيا، ويضع منهجية متكاملة في علاج مرض الاستبداد الذي هو مفرزة حقيقة للإرهاب، فآثرت أن أقف على إشكالية تلك العلاقة وكيفية التناول والعلاج من نظرة قرآنية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي والاستنباطي، حسب طبيعة التناول، وكانت أداته جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع، وتحليلها، وخلصت الدراسة إلى النقاط الآتية:

1- أن الاستبداد الحقيقي هو الاستبداد السياسي وأن كل صورة من صور الاستبداد إنما هي فرخه وفرعه، ولا تنفك عنه.

2- أن هناك صلة كبيرة بل متلازمة بين الاستبداد السياسي والإرهاب وفك هذا الارتباط مهمة المصلحين والمفكرين والساسة والمتنفذين.

3- أن خصائص الاستبداد السياسي بيئة منعشة للإرهاب وحاضنة طبيعية لنشوئه ونمائه بل بقائه.

4- أن هناك علاقة وثيقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب وأنها علاقة طردية.

5- أن للقرآن منهجية واضحة المعالم بينة الملامح ظاهرة القسمات في علاج الاستبداد السياسي وفك الارتباط بينه وبين الإرهاب.

6- أن منهجية القرآن الكريم في علاج الاستبداد والإرهاب منهجية واقعية ومتنوعة الجوانب، متعددة الزوايا والأخذ بها يحتم الأخذ بمجموعها إن لم يكن جميعها حتى يكون العلاج ناجعا.

المنارة للاستشارات
ww

Abstract:

The problematic relationship between despotism and terrorism and the Holy Qur'an methodology in treatable

The idea of this study is about dialectical relationship between political despotism and terrorism, and the extent of the correlation between each other, and the Holy Qur'an methodology in the treatment of this issue, and the range of nearness or remoteness inreality living with interaction with this sincere treatment.

I contemplated in the immortal constitution which revealed by Allah, guidance for mankind, and immaculacy for them from any aberration and perversion in all forms and varied methods, and I found it monitors relationship with awaremilestones, clear features and evident characteristics; in highlighting the important aspect of the relationship between terrorism and despotism by different appearances: intellectually, politically and socially, and it establishes an integrated approach in despotism disease treatment, which is a real detachment of terrorism, preferring to stand on the problematic of the relationship and how the handling and treatment from point of Holy Qur'an view.

The researcher used the descriptive, inductive and deductive methods, depending on the approach nature, and his tools were collecting the relevant verses and analyzing it, and the study concluded the following points:

1- **That the real despotism is political despotism and that every form of despotism is its branch and fledgling and never stops with it.**
2- **There is a strong connection, and even syndrome between of political despotism and terrorism, and dismantling this link the task of the reformers, Intellectuals, politicians and Influential people.**
3- **The political despotism properties are a refreshing environment for terrorism and natural incubator for arises, development and even permanence.**
4- **There is a close relationship between political despotism and terrorism, and it is an extrusive correlation.**
5- **The Holy Qur'an has a methodology with evident milestones, aware features and clear phenomenon in the treatment of political despotism and disengagement between it and terrorism.**
6- **The Holy Qur'an methodology in the treatment of despotism and terrorism is realistic methodology with varied aspects and diverse corners, and taking it into consideration; necessitates taking totality if not all, in order to be efficient treatment.**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم؛ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وآله ومن والاه

وبعد،، فالإرهاب مرض عضال، على المستوى الفكري وعلى المستوى العملي، عانت منه البشرية ويلات كثيرة، وآن للعلماء والباحثين أن يشخصوا الداء ويوصِّفوا الدواء، ويكون لهم سهم

المنارة للاستشارات
ww

في الحفاظ على الأمة خاصة، والبشرية عامة من أسباب هذا الوباء؛ وسعيا إلى التصور الصحيح والعلاج المحقق في ضوء مضامين القرآن الكريم وعطاءاته ومفاهيمه.

وقد تأملت في الدستور الخالد الذي أنزله الله هداية للبشرية، وعصمة لها من الزيغ والانحراف بشتى صوره وتنوع أساليبه، فوجدته يرصد علاقة بينة المعالم، واضحة الملامح، جلية القسمات، في إبراز جانب مهم من جوانب العلاقة بين الإرهاب والاستبداد بمختلف ألوانه فكريا وسياسيا واجتماعيا، ويضع منهجية متكاملة في علاج مرض الاستبداد الذي هو مفرزة حقيقة للإرهاب، فآثرت أن أقف على إشكالية تلك العلاقة وكيفية التناول والعلاج من نظرة قرآنية.

أولا أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبدو أهمية هذه الدراسة في الأسباب الآتية:

1- تحديد زاوية من أهم الزوايا في ظهور الإرهاب، إن لم تكن أهمها على الإطلاق.

2- تشخيص ركيزة من الركائز التي يتغافل عنها كثير من الباحثين؛ رغبا أو رهبا.

3- السعي إلى استلهام عطاء القرآن الكريم وعلاجه الناجع في هذه المعضلة.

4- إبراز مدى التلازمية بين الاستبداد والإرهاب.

5- الوقوف على بعض الحلول لقضية الإرهاب من زاوية قرآنية حسب الطاقة البشرية.

ثانيا مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول: **جدلية العلاقة بين الاستبداد السياسي خاصة والإرهاب، ومدى التلازم بينهما، ومنهجية القرآن الكريم في علاج هذه القضية**، ومدى قربنا أو بعدنا في واقعنا المعيش عن التفاعل مع هذا العلاج الصادق.

ثالثا أسئلة البحث:

السؤال الأساس الذي يدور عليه هذا البحث هو: هل هناك علاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب، وهل قدم القرآن الكريم رؤية لعلاج هذه المعضلة وفك هذه المتلازمة؟.

ويتفرع عن هذا السؤال بعض الأسئلة الفرعية مثل:

1- ما مفهوم الاستبداد السياسي وما خصائصه؟.

2- ما مفهوم الإرهاب؟

المنارة للاستشارات
ww

3- ما أثر خصائص الاستبداد السياسي على تغذية الإرهاب؟.

4- ما العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب؟

5- ما منهجية القرآن الكريم في معالجة الاستبداد السياسي؟.

رابعا أهداف الدراسة:

الإجابة على الأسئلة السابقة وتحرير العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب، والتطلع إلى تبيان منهجية القرآن في العلاج.

خامساً: حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على إبراز العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب في ضوء ما تتيحه الآيات القرآنية الكريمة وتفاسيرها، والسعي إلى وضع تصور مبسط عن منهجية القرآن الكريم في علاج تلك الظاهرة.

سادساً: منهج البحث وأداته:

يستخدم الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي والاستنباطي، حسب طبيعة التناول، وكانت أداته جمع الآيات ذات الصلة بالموضوع، وتحليلها،... ، اعتمادا على ما كتبه علماء التفسير واللغة، وما يدعم ذلك من ومضات السنة النبوية المطهرة، وما يخدم هدف البحث من الدراسات الإنسانية، دون الإفراط في الشروح؛ حرصا على عدم خروج البحث عن مساره.

وحرَصت على جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، ثم تصنيفها من حيث أجمعُها للقضية حتى تعطي صورة كاملة عن القضية - والزمن جزء من رسم تلك الصورة الصادقة-، وحرَصت على أن تكون العناصر المعنونة من صميم الآيات القرآنية؛ جريا على المعتمد من المناهج في هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي[1]

أما في الشرح والاستنباط، فأفدت من كتب التفسير في كل المدارس من مأثور ورأي، فمررت على مدارس متعددة وألوان متباينة، زمانا، ومكانا، واتجاها، ومنهاجا، وفكرا، كما أفدت من السنة، وهي الشارح المُبين والمُبَيِن لآيات القرآن الكريم، وأفدت مما قدمه الجهد البشري من دراسات إنسانية أو عربية في هذا الصدد، حسب الطاقة والوسع، وحسب طبيعة الدراسة، وما أكثر الدراسات التي كتبت في موضوع الإرهاب عامة سواء كانت بحوثا علمية أو تناولات صحفية أو تقارير ميدانية، لكنها كتابات مفردة تحتاج إلى صورة من الرصد والتحليل.

المنارة للاستشارات
ww

سابعاً: الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات المتعلقة بالإرهاب على حدة، وأيضا الدراسات التي تناولت الاستبداد السياسي بمفرده، والجديد في هذا الطرح المتواضع هو التركيز على إبراز العلاقة بينهما ومنهجية القرآن الكريم في العلاج، وهذا ما لم أقف فيه على بحث مفرد حسب علمي.

ثامناً: هيكل البحث:

ويمكن أن يكون هيكل البحث على النحو الآتي:

- المقدمة: وفيها تبيان لأهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- المبحث الأول: إشكالية العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب.
- المبحث الثاني: منهجية القرآن الكريم في المعالجة.
- الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: إشكالية العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب

وهذا المبحث يتناول ثلاثة مطالب: المطلب الأول مفهوم الاستبداد السياسي، المطلب الثاني مفهوم الإرهاب، المطلب الثالث: خصائص الاستبداد السياسي وأثره في تغذية الإرهاب، ولنتناولها على النحو الآتي:

المطلب الأول تعريف الاستبداد

بداية وقبل الحديث عن الاستبداد والإرهاب ينبغي أن نقف أمام تعريف كل منهما حتى نتصور ولو مبدئيا المفردات التي نتعامل معها، فنقول:

الاستبداد معناه لغة الانفراد دون صاحب الحق، فيقال: (استبد بالأمر يستبد به استبدادا إذا انفرد به دون غيره. واستبد برأيه: انفرد به)[2].

وهو الافتئات أيضا على صاحب الحق؛ كما قال صاحب اللسان: (افتأت فلان بأمره، بالهمز، إذا استبد به.) [3]

أو هو: (غرور المرء برأيه والأنفة عن قول النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة.)[4]

والعلامة الكواكبي يذكر أن الاستبداد إذا أطلق لا يقصد به غير الاستبداد السياسي؛ وهو محق في هذا؛ فكل صور الاستبداد تنبع منه وتتولد من رحمه السيء، وتخرج من بيئته الخبيثة، فيقول: (ويراد بالاستبداد، عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة؛ لأنها أعظم مظاهر أضراره التي جعلت

المنارة للاستشارات
ww

الإنسان أشقى ذوي الحياة. وأما تحكم النفس على العقل، وتحكم الأب والأستاذ والزوج، ورؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الإضافة.) [5]

كما يقول في موطن آخر: (**وحيثُ إني قد تمحّص عندي أنّ أصل الدّاء هو الاستبداد السّياسي ودواؤه دفعه بالشّورى الدّستورية**. وقد استقرَّ فكري على ذلك كما أنّ لكُلّ نبأ مستقراً. بعد بحث ثلاثين عاماً... بحثاً أظنّهُ يكاد يشمل كلّ ما يخطرُ على البال من سبب يتوهّمُ فيه الباحث عند النظرةِ الأولى، أنهُ ظفر بأصل الدّاء أو بأهمّ أصوله، ولكنْ؛ لا يلبث أنْ يكشف له التّدقيق أنّه لم يظفر بشيء، أو أنّ ذلك فرعٌ لا أصل، أو هو نتيجة لا وسيلة.

فالقائلُ مثلاً: إنّ أصل الدّاء التّهاون في الدّين، لا يلبث أنْ يقف حائراً عندما يسأل نفسه لماذا تهاون النّاس في الدّين؟ والقائل: إنّ الدّاء اختلاف الآراء، يقف مبهوتاً عند تعليل سبب الاختلاف. فإن قال: سببه الجهل، يَشْكُلُ عليه وجود الاختلاف بين العلماء بصورة أقوى وأشدّ... وهكذا؛ يجد نفسه في حلقة مُفرغة لا مبدأ لها، فيرجع إلى القول: هذا ما يريده الله بخلقه، غير مكترث بمنازعة عقله ودينه له بأنّ الله حكيمٌ عادلٌ رحيمٌ...

وإنّي، طالما أتعبتُ نفسي في تحليل هذه المباحث، وخاطرتُ حتّى بحياتي في درسها وتدقيقها، وبذلك يعلمون أنّي ما وافقتُ على الرّأي القائل بأنّ أصل الدّاء هو الاستبداد السّياسي إلا بعد عناءٍ طويل يرجحُ قد أصبتُ الغرض. وأرجو الله أنْ يجعل حُسنَ نيّتي شفيع سيئاتي)[6]

وهذا ما دفعني لاختيار هذه الزاوية من زوايا الاستبداد للحديث عنها خاصة.

كما يعرف الكواكبي الاستبداد - وهو من أفضل من تحدث عنه وأوفر من تناوله وشرَّحه تشريحا رائقا فائقا، حتى يعد كتابه دستورا للتعرف على الاستبداد- عرفه اصطلاحا بأنه: (تصرف قوم أو جماعة في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة، وقد تطرق مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي، فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات استعباد، اعتساف وتسلط وتحكم، وفي مقابلتها كلمات مساواة، وحس مشترك، تكافؤ وسلطة عامة. ويستعملون في مقام صفه (مستبد) كلمات: جبار، وطاغية وحاكم بأمره وحاكم مطلق. وفي مقابلة (حكومة مستبدة)، كلمات: عادلة ومسؤولة، ومقيدة ودستورية. ويستعملون في مقام وصف الرعية (المستبد علهم) كلمات: أسرى، ومستصغرين، وبؤساء ومستنبتين وفى مقابلها أحرار وأباة وأحياء وأعزاء.) [7]

وهو هنا يضع أمامنا جملة من الأشياء، يضع أمامنا طلاقة يد المستبد أو المستبدين فيما يتعاملون معه، ويضع أمامنا السبب في هذا الإطلاق أنه لا خوف من حساب ولا عقاب ولا رقابة ولا

المنارة للاستشارات
ww

مسؤولية، وتفنن في تصوير بشاعة الاستبداد بذكر الألفاظ التي تنفر منه وتبعد عنه، فالمستبد جبار وطاغية وحاكم بأمره، وحاكم مطلق، وفي المقابل الرعية وصفوا بأنهم أسرى، ومستصغرون، وبؤساء، ومستنبتون، وفي ذلك من تشريح شؤم الاستبداد وتأثيره على المجتمع ما فيه، فأمة أفرادها رعايا ومستنبتون كيف تنتج وتبني نهضة وتنشئ حضارة، والفرد منهم لا يأمن على نفسه ولا حياته ولا ماله ولا عرضه.

ويزيد الكواكبي الأمر وضوحا فيعرفه بالوصف كما عرفه بالمثال فيقول: (وأما تعريفه بالوصف فهو أن الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً، أو حكماً، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين. وتفسير ذلك هو كون الحكومة إما هي غير مكلفة بتطبيق تصرفها على شريعة أو على أمثلة تقليدية أو على إرادة الأمة.

وهذه حالة الحكومات المطلقة. أو هي مقيدة بنوع من ذلك ولكنها تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تهوى، وهذه حالة أكثر الحكومات التي تسمي نفسها بالمقيدة أو بالجمهورية.) [8]

وليس للمستبد شكل معين فقد يكون فردا وقد تكون حكومة وقد تكون في صور متعددة من صور الحكم فليست صورة الحكم هي الحاكم على طريقته بكونه حكما استبداديا أو عادلا بل (تكفي هنا الإشارة إلى أن صفة الاستبداد، كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولى الحكم بالملكة أو الوراثة، تشمل أيضاً الحاكم الفرد المقيد المنتخب متى كان غير مسؤول، وتشمل حكومة الجمع ولو منتخباً لأن الاشتراك في الرأي لا يدفع الاستبداد وإنما قد يعدله الاختلاف نوعاً، وقد يكون عند الاتفاق أضر من استبداد الفرد. ويشمل أيضاً الحكومة الدستورية المفرقة لها بالكلية قوة التشريع عن قوة التنفيذ وعن القوة المراقبة. لان الاستبداد لا يرتفع ما لم يكن هنا كارتباط في المسؤولية فيكون المنفذون مسؤولين لدى المشترعين، وهؤلاء مسؤولين لدى الأمة، تلك الأمة التي تعرف أنها صاحبة الشأن كله وتعرف أن تراقب وتتقاضى الحساب.

وأشد مراتب الاستبداد التي يتعوذ بها من الشيطان هي حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش الحائز على سلطة دينية.

ولنا أن نقول: كلما قل وصف من هذه الأوصاف خف الاستبداد إلى أن ينتهي بالحاكم المنتخب الموقت المسؤول فعلاً، وكذلك يخفا لاستبداد طبعاً كلما قل عدد نفوس الرعية وقل الارتباط بالأملاك الثابتة وقل التفاوت في الثروة، وكلما ترقى الشعب في المعارف. [9]

المنارة للاستشارات
ww

المطلب الثاني: تعريف الإرهاب

نحاول هنا أن نعرف الإرهاب تعريفا اصطلاحيا، ولا يغني هذا بالطبع عن تبني المؤسسات الحقوقية والقانونية والدولية تعريفا منصفا يقوم على رصد الواقع وتتبع معنى الإرهاب ميدانيا؛ حتى توزن الأفعال وزنا حقيقيا وتعاير بالقسطاس المستقيم، فاختلال التعريف يخلط الأوراق ويجعل لا فرق بين المقاومة المشروعة وبين الإرهاب الممنهج؛ فما يعده فرد حقا من حقوقه بل واجبا من واجباته يعده الطرف الآخر تهورا وإرهابا، ولذا تعريفنا هنا لا يعدو أن يكون تعريفا نظريا وصفيا حسب ما تتيحه المراجع اللغوية.

تقول كتب اللغة: (رهب - كعلم - رهبة ورهبا ورُهبا ورهبانا - بالضم - ورهبانا - بالتحريك -: خاف مع تحرز واضطراب. قال تعالى: ﴿**واضمم إليك جناحك من الرهب**﴾ أي من الفزع. والاسم الرهبى والرهبى - ويمدان - والرهبوتى. ورهب وتخير من رحموت: أي لأن ترهب خير من أن ترحم. وأرهبه واسترهبه: أخافه. وترهبه: توعده. قال تعالى: ﴿**واسترهبوهم**﴾ أي حملوهم على أي أن يرهبوا. والرهبة: الخوف والفزع)[10]

فالإرهاب في اللغة: أصله أرهب، يرهب، إرهاباً وترهيباً.

والثلاثي منه: رَهِب بالكسر كعَلِم رَهْبة ورُهْباً بالضم وبالفتح وبالتحريك: أي: خاف، ورَهِب الشيء: خافه، وأرهبه واستَرْهَبَه: أخافه.

قال ابن فارس(" رَهِبَ: الراء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف والآخر يدل على دقة وخِفَّة.

فالأول: الرَهْبة، تقول: رهِبت الشيء رُهْباً ورَهْبة. ومن الباب: الإرهاب: وهو قدع الإبل من الحوض وذيادُها.

والأصل الآخر: الرَهَب: الناقة المهزولة. [11]

وهذا الأصل ليس من طلبتنا بل الأصل الذي نسعى إليه هو دلالة المفردة على التفزيع والإخافة والترويع؛ لأنه الأصل الذي يمضي مع التعريف الاصطلاحي الذي نتغياه.

فمعاني هذه الكلمة في اللغة تدور حول: الإخافة والترويع والتفزيع.

المادة في الاصطلاح القرآني:

جاء ذكر لفظة " رَهِبَ، وأَرْهَبَ " واشتقاقاتهما في القرآن في مواضع:

المنارة للاستشارات
ww

- منها في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ **مِنْ** قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ الأنفال: 60. أي: تخيفون به عدو الله وعدوكم.
- منها في قوله تعالى: ﴿ لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴾. الحشر: 13. أي: يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله.
- منها في قوله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف: 116.
- منها في قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ البقرة: 40.
- ومنها ما أخبر به - سبحانه - عن عباده الصالحين أنهم يدعونه ويتقربون إليه رجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه، فقال سبحانه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ الأنبياء: 90. قال القرطبي: " أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة. وقيل: المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء، ورهبة وخوف " [12]

أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة. وقيل: المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان

مما تقدم يتبين لنا أن مادة (رهب) واشتقاقاتها جاء استخدامها في نصوص القرآن وفق معناها اللغوي الذي يعني الإخافة للآخرين أو الخوف منه لقوته ولما يخشى من بطشه أو عقوبته، وسواء وقع هذا الخوف من الله عز وجل، أو من الخلق. وأن من التخويف ما يكون بحق ومنه ما يكون بالباطل.

المختار في تعريف الإرهاب:

هو الاعتداء المنظم منفرد أو جماعة أو دولة على النفوس البشرية، أو الأموال العامة أو الخاصة بالترويع والإيذاء والإفساد من غير وجه حق.) [13]

وللاستبداد صور متعددة تتباين وتتنوع ولكل منها قدره وأثره في تغذية الإرهاب كما أن له خصائص متكاثرة تظهر إشكالية العلاقة بينه وبين الإرهاب وهذا ما سنعرفه في الصفحات الآتية:

المطلب الثالث: خصائص الاستبداد السياسي وإشكالية العلاقة مع الإرهاب

ينفرد الاستبداد السياسي بعدد من الخصائص والسمات لا يشاركه فيها لون من ألوان الاستبداد غالبا، وكل خصيصة منها كفيلة بتغذية الإرهاب وتنميته، وتهيئة الجو له، وتمهيد البيئة المواتية والمناخ المساعد؛ حتى يبيض ويفرخ، وينتج ويتكاثر، وأول خصيصة من خصائه:

المنارة للاستشارات
ww

1- التعالي والكبر

فالمستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم. ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم ويعلم من نفسه أنه الغاصب المتعدي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته. (14)

إن المستبد لديه رغبة في الانفراد بألفاظ لا تقال للبشر فالفرد الحاكم المطلق يرضى من حاشيته الإغراق في الوصف وعدم الوقوف في الإطراء، وتقوم البطانة الفاسدة والأتباع الذين يهمهم من الحياة حيازة الأموال واعتلاء الكرسي بهذه المهمة خير قيام.

يعبر شيخنا الشيخ الغزالي - وهو الذي تصدى للاستبداد السياسي في أعتى صوره كتابة وخطابة وتوعية يتحدث عن هذه الخصيصة من خصائص الاستبداد السياسي فيقول: (إن تأليه الملوك ضلال قديم وبعد أن انتشر الإسلام ذهبت حقيقة التأليه ثم عادت الآن آثاره وخصائصه فالملك يلقب صاحب الجلالة ولا يسأل عما يفعل ويبطل شرائع الله ليقيم شرائع الهوى ويمتد هو وبطانته لتنكمش أمامهما أمته)(15).

فيسمن الفرد الحاكم وتنحف أمته ويستطيل ويستعرض وتتقاصر رعيته ويتضخم لتضمر؛ لأن العلاقة في ذهنه ليست علاقة فرد بأفراد هو من جنسهم وهم ذووه وأهلوه وإنما العلاقة بينه وبينهم علاقة السيد بالعبيد.

ولا شك أن هذه الخصيصة توغر صدور الناس خصوصا الأحرار الذين يعرفون أن الناس لادم وآدم من تراب، ويتكاثر هذا الشعور حتى يعود على المجمع كله بالضرر، ويسري في الأمة وأفرادها حتى تتغلغل هذه الصفات في كثير من أفرادها فكل فرد يتعالى على من هو دونه ويكبر في نظر نفسه بقدر ما يصغر في نظر من هو فوقه، وكأنها معادلة أو مسألة طردية يتكبر الحاكم فيتكبر كل محكوم على من دونه، وهكذا تشيع في المجتمع روح التعالي فتتفسخ روابطه، وتنماع عراه، كما ينماع الملح في الماء.

ويسري الاستبداد في صورة متناسقة كل فيمن يليه، كما يرى العلامة الكواكبي (فالحكومة المستبدة تكون طبعاً مستبدة في كل فروعها: من المستبد الأعظم إلى الشرطي. إلى الفراش، إلى كناس الشوارع، ولا يكون كل صنف إلا من أسفل أهل طبقته أخلاقاً، لأن الأسافل طبعاً لا يهمهم الكرامة وحسن السمعة، إنما غاية مسعاهم أن يبرهنوا لمخدومهم أنهم على شاكلته، وأنصار لدولته، وشرهون لأكل السقطات من أي كانت، ولو بشراً أم خنزيراً، آبائهم أم أعدائهم، وبهذا يأمنهم المستبد ويأمنونه ويشاركهم ويشاركونه، وهذه الفئة المستخدمة.) (16)

المنارة للاستشارات
ww

2- كراهيته للنقد والمناقشة:

ومن خصائص الاستبداد السياسي كذلك كرهه للمناقشة والمحاورة. فالحكم الفردي لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا صوته؛ كأنه في مكان مغلق بالمرايا، كلما استدار على وجهه رأى نفسه فيها (إن الرجل العظيم يلقى الناس بآرائه فلا يبالي أن يناقشوه ويناقشهم حتى يستبين وجه الحق .... شتان بين هذه القمم الشم وبين الأغمار الذين ظهروا في الشرق أيام عاره وانهياره فأسسوا بأسمائهم دولا وأصبحت لذويهم إرثا وتعاموا بغبائهم عمن ورائهم فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)[17]؛ لأنهم لا يريدون أن يبرز من رعيتهم الصوت الناقد الذي يدلهم على الهدى، أو يبعدهم عن الردى، ويهديهم إلى سبل السلام؛ فهم يكرهون دائما من يقول لهم: لماذا وكيف ومن أين يعبر، (فمن خصائص الاستبداد السياسي في كل زمان ومكان كراهيته الشديدة لحرية الرأي والنقد والتوجيه ومن خصائص الإسلام التي امتاز بها لتقويض أركان الاستبداد أن واجبا على كل فرد أن ينتقد الخطأ وأن يوجه إلى الخير، والثوار على الظالم في كل بلد وقع فريسة الحكام المستبدين يطلبون حرية القول وهؤلاء الحكام يخشون من الحرية على كيانهم منهم يحظرونها ولا يجوز أن يذاع إلا ما كان مدحا لهم أو زلفى إليهم)[18].

ولا شك أن هذا يغذي نفوس الناس عامة والنفوس المهيئة لهذا خاصة إلى تصريف هذه الروح الناقدة إلى مسارب غير صريحة، فيخفون مالا يستطيعون أن يتحدثوا به وفي الظلام تعوج الأفكار، كما تعوج النباتات التي تفقد ضوء الشمس، ويغيب عنها وضح النهار، فيفجع المجتمع بآراء فكرية غير سوية، وتصورات عقلية ليست مرضية، والسبب الأصيل في هذا ليس غياب العلم الصحيح فقط بل غياب الحرية العامة التي تبيح للفرد وتتيح أن يقول ما يريد مادام في إطار الشرع والعرف والقانون.

3- حمل الناس دون وعي على العمل السري

والاستبداد السياسي بقهره للناس وجبره لهم يحملهم على أن يتواروا عن عينه، ويختفوا من أمام ناظريه، وهنا تبدأ الإشكالات المعوجة، والأفكار التي تنبت في غير حاضنتها، ويعتريها من الخلل ما يعتريها، والسبب الرئيس وراء هذا هو الاستبداد الذي منع الناس من التنفس حرية فآثروا أن يجتروا حياتهم في الظل.

لقد رصد القرآن الكريم قهر فرعون لمن حوله باعتباره نموذجا من نماذج الاستبداد السياسي الصارخ ومن هذا رغبة أم موسى أن تخفي ابنها بأي صورة من الصور، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا

المنارة للاستشارات
ww

﴿ رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) ﴾ القصص: 7- 10.

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) ﴾ القصص: 18.

وقال أيضا: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) ﴾ القصص: 21، 22.

(والتعبير هنا يجسم هيئة الخوف والقلق بهذا اللفظ، كما أنه يضخمها بكلمتي «في المدينة» فالمدينة عادة موطن الأمن والطمأنينة، فإذا كان خائفا يترقب في المدينة، فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر! وحالة موسى هذه تلهم أنه لم يكن في هذا الوقت من رجال القصر. وإلا فما أرخص أن يزهق أحد رجال القصر نفسا في عهود الظلم والطغيان! وما كان ليخشى شيئا فضلا على أن يصبح «خائفا يترقب» لو أنه كان ما يزال في مكانه منقلب فرعون وقصره.

وبينما هو في هذا القلق والتوجس إذا هو يطلع: ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾!) [19]

فهذا القهر الذي يمارسه فرعون على الرعية هو الذي ولد هذا الخوف في النفوس، والنفوس الخائفة كيف تستقر وتستمر، ويبين شيخنا الغزالي عن تجربة شخصية أثر الاستبداد في تغذية الإرهاب فيقول: (عندما أبحث عن جراثيم الانحراف بين المتدينين أجد هذا اللون من الفرعنة وراء جملة من المسالك التي نشجبها ونضيق بأهلها فبعض الجماعات تنبت أفكارها في السجون ونمت أشواكها بين القضبان، يوم استطاع رجل فرد أن يأمر باعتقال ثمانية عشر ألفا في عشية واحدة وأن يدخل الكآبة والذل على ثمانية عشر ألف بيت من المسلمين)[20].

والاستبداد السياسي كما هو سبب من أسباب الانحراف الفكري والاعوجاج الشخصي فهو كذلك من أوائل أسباب الشلل الفكري؛ (إنه ليس هينا أن يسير الإنسان في الطريق خائفاً يترقب، فقد تهوي عصا على أم رأسه تودي بحياته أو تناله صفعة على قفاه تودي بكرامته أو يؤخذ بتلابيبه فيرمي في السجن لا يدري شيئاً عن أهلة وولده !!)[21].

المنارة للاستشارات
ww

إن الناس إلي الاستقرار والاطمئنان من أجل الإنتاج والإبداع (فالحاجة إلي الاستقرار النفسي كالحاجة إلي القوت فإن الخليل إبراهيم-عليه السلام- يقدر حقوق الإنسان الأدبية والمادية عندما جأر قبل إنشاء مكة ﴿**رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهلة من الثمرات**﴾ البقرة من الآية 126.

وقد امتن الله (تعالى) على قريش بمنتين عظيمتين هما: الإطعام من جوع والتأمين من خوف فقال تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)** ﴾قريش: 3، 4.

والجندي المأمور بضرب الناس لا يبالي أن يسحق تحت حذائه أكبر مخ في العالمين؛ لأنه لا يفرق بين مخ ومخ ولا يدري إلا أنه مكلف بالضرب إنه آلة بشرية في يد جبار)[22].

والاستقرار الأمني والنفسي والمعيشي من أسباب الإنتاج السليم والتفكير السليم والعطاء السليم ومن يقارن بين مكان توفر فيه هذا الاستقرار المتكامل وبين مكان فقد هذا الاستقرار تبدو له النتيجة واضحة (هل تحسب أن الذكاء الياباني وحده وراء هذا النجاح الرائع كلا: إن الاستقرار النفسي والاجتماعي في طول البلاد وعرضها كان نعم العون في ذلك المضمار كأن الحكومة جسد روحه الشعب أو كأن الشعب جسد روحه الحكومة لا انشطار في عزم ولا اختلاف علي هدف ولا تحاقد على منصب)[23].

فكان هذا الاستقرار الشامل لكل ناحية من نواحي الحياة من أول الأسباب ويضرب الشيخ الغزالي مثلاً آخر على أن الاستقرار الأمني السياسي من أقوى الأسباب على الإنتاج والعطاء بالشاب الإنجليزي مخترع الدراجة البخارية وكيف كان يتابع ببصره رفع البخار لغطاء الآنية ويفكر بأناة في استغلال هذه القوة لمصلحة البشر كان مطمئن البال وهو يتأمل ويستنتج أن أحدا لن يجره إلي دار الشرطة ليضرب مائة سوط على تصرفه إنه لن يقف أمام ضابط ليهينه، ويقول له بعد أن يتحفه بألفاظ بذيئة: فكر فيما ينفعك كما يجري علي كثير من الألسنة في الشرق الإسلامي ! إن الكرامة الأدبية والمادية تقررت للجماهير في بلده بثمن رهيب دفعه ملك إنجلترا من رأسه)[24].

والضغط الاستبدادي لا يؤثر في الناحية العلمية المجردة فحسب بل قد يؤثر في وعي علماء كثيرين ممن يحملون الدعوة إلي الإسلام فإن حديث كثير منهم عن أمر الشورى وهل هي ملزمة أم معلمه ما يراه الشيخ الغزالي إلا من ضغط الاستبداد السياسي بل إنه يرى أن حديث بعض الفقهاء عن الصبر على جور الحاكم ليس إلا من هذا الصدد يقول: (بلغ التطير ببعض الفقهاء أن جعل الصبر على جور الحاكم من شعب الإيمان ! وهذا كلام سقيم، وأخذه على إطلاقه كان ذريعة لتنويم الشعوب على ما ينزل بها من ضيم، حتى بلغ فسوق الملوك والحكام في بلاد الإسلام حداً

المنارة للاستشارات
ww

لا يطاق. إن الفتوى بالتمرد علي الحاكم أو الاستكانة له تحتاج إلي بصر حديد، والحقيقة تضيع دائماً بين الإفراط والتفريط)[25].

والحكم الفردي سبب هذا الاضطرار الفقهي لأن الحكم الفردي أوجد فقهًا ليس له أصل ديني قائم وفقهاء لا يستحقون ذرة من ثقة وقد قال الشيخ: لقد قرأت مشروع دستور وضعه واحد من هؤلاء فرأيت الخليفة المنتظر يستمتع بسلطات دونها بمراحل سلطات القيصر الأحمر في موسكو وساكن البيت الأبيض في واشنطن قلت وثيقة تضم إلي غيرها من القمامات الفكرية في حياتنا السياسية العابرة والحاضرة على سواء)[26].

بل إن نظرة من الفقهاء إلي الشورى بأنها غير ملزمة من جراء الضغط السياسي جعلها تختفى من مجتمعات إسلامية كبيرة وجعل أغلبية من قريش ومن غير قريش تسيء إلي دين الله إساءات بالغة وجعل كلمة (وليت عليكم ولست بخيركم) غريبة علي الآذان وقصة ذهبت في خبر كان وجعلت فرعون وكسري وقيصر يعود إلي الحياة مرة أخرى وعلى رأسهم عمائم الإسلام أيديهم وأقوالهم تقبل وأوامرهم ونواهيهم تحني لها الهام)[27]. والحاكم المستبد يبارك إلى هذا الفقه الأليف والإفتاء المستأنس ويغدق عليه.

ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الاستبداد السياسي لوجدنا مرآة الحكام قد وطأت أكناف المنكر وأقامت للأكاذيب سوقاً رائجة وقلبت الحقائق وصنعت الدواهي[28].

وكما يقول العلامة الكوكبي رحمه الله: (قد يبلغ فعل الاستبداد بالأمة أن يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب التسفل بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور، وإذا ألزمت بالحرية تشقى وربما تفنى كالبهائم الأهلية إذا أطلق سراحها، وعندئذ يصير الاستبداد كدابة العلق يطيب له المقام على امتصاص دم الأمة فلا ينفك عنها حتى تموت ويموت هو بموتها)[29]

4 - إذكاء الخلافات العلمية التي لا تمس الحكم الفردي:

ومن خصائص الاستبداد السياسي كذلك: إنماء الخلافات العلمية الفرعية وإذكاء روح التناحر فيما لا يمس السلطة الحاكمة ليس ذلك لشيء إلا ليتيه الناس في هذه الجزئيات المبعثرة، والفروع ذات المسالك والدروب ويبتعدوا عن الحديث المالي والإداري وشئون الدولة وقضايا الحكم؛ (فالسلطات المستبدة قديما وحديثا تسرها الخلافات العلمية التي لا تمسها هل الشك ينقض الوضوء أم لا؟ هل رؤية الله في الآخرة ممكنة أم ممتنعة؟ هل قراءة الإمام تكفي عن المصلين أم لا تكفي؟ إن حكام الجور يتمنون لو أن الجمهور غرق في هذه القضايا فلم يخرج لكنه

المنارة للاستشارات
ww

يشعر بضر بالغ عندما يقال: هل الدولة لخدمة فرد أم مبدأ؟ لماذا يكون المال دولة بين بعض الناس ! هل يعيش الناس كما ولدوا – أحرارا أم تستعبدهم سياط الفراعنة حينا ولقمة الخبز حينا ! إن البدوي الذي خاطب الفرس في الفتح الأول قال لهم: جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد، كان هذا البدوي بفطرته الصادقة يعلم ما هي الحقائق الكبرى في المنهاج الإسلامي ففتح البصائر عليها)[30].

أما الحاكم الفردي فلا مكان للنقد عنده ولا للمناقشة الموضوعية الصادقة لديه.

وإذا غابت العقلية العلمية الناقدة، وتوارت خلف الرغبة والرهبة، وتاهت خلف سيف المعز وذهبه، توارت معها النصيحة الصادقة، والعبارة الناقدة المنضبطة التي تحمل وهج الداعية، وتأصيل العالم، وروح البشارة والنذارة، وهي التي تمثل جهاز المناعة في جسم الأمة، فلا يلبث الناس حتى يروا العرض دون أن يشعروا بالمرض، وتبغتهم الآثار دون أن يشعروا بالمؤثر؛ فيطول بهم أمد العلاج وقد كان في مقدورهم اكتفاء شرره وضرره.

5-انقطاع الصلة بين الراعي والرعية:

ويرى الغزالي أن من خصائص الاستبداد السياسي انفراج الصلة بين الحاكم والمحكوم لم يحوط الحاكم نفسه من هالة مكبرة وحاشية مستغرقة بحمده **مسبحة بذكره بشكره وحسن سياسته**، يقول الغزالي عن ذلك: (وفرض في الأذهان أن الملوك – يقصد المستبدين – ليسوا من عبيد الله المألوفين فإن الأبراج التي يحيون فيها قطعت نسبتهم من الأرض ووصلتها بالسماء فزعموا أنهم نسل الآلهة أو عاشوا كذلك وإن لم يقولوا بألسنتهم ما يقولون بأفعالهم)[31].

6-رياء الحاشية:

إن الرياء في جو الحكم المطلق والاستبداد السياسي ينبت كما تنبت الديدان في أجساد الموتى؛ لأنه لا يقرب إلا من تمدح، ولا يدني إلا من يرائي، ولا ينظر إلا للعبيد الراضخين، يقول شيخنا الشيخ الغزالي عن ذلك: (وكما ينبت الشرك في أحضان الوثنية، ينبت الرياء في أحضان الكبر وحيث يوجد السادة المفكرون يوجد الأتباع المتملقون والأشياع والمراؤون، وجو الحكم المطلق احتل الأجواء بجماهير العبيد الراضخين للهون عن طواعية أو كراهية وفي الحرب التي شنها القرآن الكريم على هذه المجتمعات المظلمة نرى الهجوم يتتابع على مبدأ السيادة والتبعية وعلى ما يلحق هذا الجو من إلغاء للعقول والضمائر)[32].

المنارة للاستشارات
ww

وفي هذا الجو يتضخم الظلم فيصبح ظلمات، إذ يفقد أصحاب الكفاءة كفاءتهم، ويتقدم الغرُّ ويتأخر المقدَّم، فيعبأ هذا نفوس الناس ضد الاستبداد فيتولد رد الفعل الطبيعي فينشأ الإرهاب ويتضخم الشعور بالظلم، ويتكاثر لدى الناس هذا المعنى.

ويؤكد الرئيس التنفيذي لمركز التأهيل وحماية الحريات الصحافية أمين عام جائزة الصحافة والإعلام اليمني، محمد صادق العديني: أن الاستبداد السياسي يصنع الإرهاب.. وكلاهما صنيعة غياب الديمقراطية الحقيقية والعدالة الاجتماعية والمواطنة المتساوية؛ ذلك أن الديمقراطية باعتبارها منظومة متكاملة تتيح فرصة لجميع مكونات وفئات وتوجهات أفراد المجتمع، ويقول: "كما أن "الفقر" هو صنو الجهل، وصنو "المرض".. واجتماع ثلاثتهم يدفع الشعب إلى الكفر بالدولة ويميت في النفوس كل شعور وطني؛ لذا يصبح من السهل، وقد تهيأت الظروف، التحول للفوضى والخراب.

العنف وليد العنف

وفي ذات الموضوع يؤكد الكاتب الصحفي والباحث ثابت الأحمدي أن الاستبداد بشتى أنواعه داء عضال تتوالد عنه كل أمراض المجتمعات،.. أن نتواءات الاستبداد السياسي قد يفضي في النهاية إلى زوال الدولة ونهايتها.. ويقول: "كما تولد النارُ النار فإن العنف وليد العنف، والتطرف لا يؤدي إلا إلى التطرف في أسوأ حالاته.. ويؤكد أن نشوء عصابات العنف والإرهاب تعتبر انعكاسا مباشر لعصابات السلطة والحكم التي رأت في الناس رعايا لا مواطنين مثلما رأت في نفسها أنها الأولى بالسيادة والحكم.

ويقول: هنا تبدأ الجذور الأولى للإرهاب والعنف حين تشعر جماعة ما أو فئة بانتقاصها وهضمها من جهة أخرى، فتتكون قضية جامعة سرعان ما يتماهى هذا الكل المظلوم تحت رايتها من منطلق الشعور بالظلم الذي يفضي إلى الانتصار للذات، وسرعان ما يتشكل الولاء الأعمى للزعامة، وقد رأت في مشروعها قضية مقدسة يستدعي التضحية غير قابل حتى بأنصاف الحلول،... وعبر التاريخ الإنساني قاطبة لم تنشأ جماعة عنف بفكر متطرف إلا نتاج قمع غير مبرر من السلطات حتى تبدو كما لو كانت تملك الشرعية كاملة)[33]

ويقول الباحث في شئون الجماعات الإسلامية نبيل البكيري: إن مسألة العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب هي علاقة طردية، فكلما اشتد الاستبداد السياسي زادت فرص اشتداد الإرهاب ونموه. .

ويضيف: " أعتقد أن مسألة الإرهاب هي من القضايا التي لم تدرس ويبحث كثيراً عن أسبابها ومسبباتها الكثيرة التي تأتي العوامل السياسية في مقدمة تلك العوامل التي تغذي ظاهرة الإرهاب،

المنارة للاستشارات
ww

وأكاد أجزم أن العوامل السياسية تتجاوز 80 % في تشكيل ظاهرة الإرهاب، فيما يبقى العشرون في المائة الباقية مرتبطة بموضوع الإشكال الفكري والثقافي، التي يمكن في ظل توفر جو سياسي طبيعي ومستقر، أن يتم مناقشة الإشكال الفكري وإزالة الكثير من الالتباسات حوله. الإرهاب صنيعة غياب الديمقراطية) [34]

المبحث الثاني: منهجية القرآن الكريم في المعالجة

تميز القرآن الكريم بأنه كتاب الزمان والمكان والماضي والحاضر والمستقبل، ففيه لكل حادثة حديث، ولكل مشكلة حل، ولكل معضلة تفكيك؛ ولم لا وهو كتاب اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق وقد أنزله تبيانا لكل شيء.

وقضية الاستبداد السياسي وأثرها في الإرهاب من القضايا التي يجد الباحث فيها منهجية واضحة لدى القرآن الكريم في علاجها، وهي عادة القرآن الكريم الماضية، وسنته الجارية في التعامل مع المعضلات، لا يعالجها معالجة عجلى، ولا يتناولها تناولا مفردا، بل ينسج لها نسيجا ويفري لها فريا، يأخذ بألباب الناظرين ويبهر الراصدين والواع بين، فالمرء حين يجد فكرة من الفِكَر تدور في القرآن بطريقة لافتة يحسب أنها مفردة، أو أنها جاءت هكذا مجيئا عابرا، فإذا أمسك بالقلم والقرطاس وتتبع ختمة القرآن رصدا ووعيا وجد أنها منهجية مطردة، وسنة سارية، وعادة جارية.

ومن هذا تعامل القرآن الكريم في قضية إشكالية العلاقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب، ويمكننا أن نتناول تلك المنهجية القرآنية على النحو الآتي:

أولا: عرض نموذج الحكم الرشيد والحاكم الراشد

فالراصد لحديث القرآن الكريم لا يخطئ بصره هذه الحديث الضافي عن أسس وملامح الحكم الرشيد وأثره في قرار النفوس وسلامة المجتمعات، ولقد تحدث القرآن الكريم عن نماذج متعددة للحكم الرشيد في سياق توصيفها وبيان تعاملها مع أفرادها، ولم يكتف القرآن الكريم بمرحلة التوصيف بل نفذ إلى أهم سمات الرشد في هذا الحكم ويمكننا أن نتتبع مثالا لا حصرا حديث القرآن عن بعض هذه النماذج ومنها ما يأتي:

1- النموذج المحمدي (صلى الله عليه وسلم)

وتتبُعنا هنا لنموذج إدارة النبي (صلى الله عليه وسلم) للدولة بما فيها من سلم وحرب لا نتغيا فيه رصد كل الملامح وتتبع كل المعالم، بل نرصد فقط تلك المنهجية الراشدة فيما يخص نفي

المنارة للاستشارات
ww

الاستبداد والذي يترتب على وجوده تعبأة نفوس الأفراد بما يبغضها في قادتها، وتهيئة نفوس الرعية بما يجعلها تفقد الانتماء لوطنها أو قيادتها.

وقد حفل تاريخ النبوة الصادق بأرقى صور التعامل في الحكم الراشد، كما يقول العلامة الكواكبي في تفصيل حكومة النبي صلى الله عليه وسلم: (حيثُ أرسل الله لهم رسولاً من أنفسهم أسّس لهم أفضل حكومة أُسِّسَت في النّاس، جعل قاعدتها قوله: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّته**»؛ أي كلٌّ منكم سلطانٌ عام ومسؤول عن الأمة. وهذه الجملة التي هي أسمى وأبلغ ما قاله مشرّع سياسي من الأولين والآخرين، فجاء من المنافقين من حرَّف المعنى عن ظاهره وعموميته؛ إلى أنَّ المسلم راعٍ على عائلته ومسؤول عنها فقط. كما حرَّفوا معنى الآية: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياءُ بعض**﴾ على ولاية الشهادة دون الولاية العامة. وهكذا غيّروا مفهوم اللغة، وبدَّلوا الدِّين، وطمسوا على العقول حتى جعلوا النّاس ينسون لغة الاستقلال، وعزّة الحريّة؛ بل جعلوهم لا يعقلون كيف تحكم أمّةٌ نفسها بنفسها دون سلطانٍ قاهر.) [35]

وبهذه الروح التي بثها القرآن والسنة في نفوس الرعية جعل كل فرد قيما على نفسه ومن يعول ويشعر بأنه مسؤول عمن حوله من الجماعة البشرية، مسؤولية تحمله على النصح لهم والشفقة عليهم، ومن يشعر هذا الشعور ويدرك هذه المعاني، لا يتوقع منه أن يكون إرهابيا يكره الخير للغير، أو يحمل لهم ضغنا، ويبغي لهم عوجا.

كما أسس الإسلام قرآنا وسنة معالم الحريات العامة التي تجعل كل فرد ملكا في سلطانه، فلا يشعر بتحيف من حقوقه ولا تزيد عليها؛ فكل له حقوق وعليه واجبات، وقد سمى الله تعالى بني إسرائيل ملوكا في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ المائدة: (20).

فالفرد الذي يملك حريته ملِكَ وأي ملك؛ قال الطبري: (إنما عنى بقوله: "وجعلكم ملوكا" أنهم يملكون أنفسهم وأهلهم وأموالهم.) [36]

إن الحكومة الإسلامية تتغيا بث الحرية الحقيقة في نفوس الناس بل هي (مؤسسة على أصول الحرّية برفعها كلّ سيطرة وتحكُّم، بأمرها بالعدل والمساواة والقسط والإخاء، وبحضّها على الإحسان والتحابب. وقد جعلت أصول حكومتها: الشّورى الأرستوقراطية؛ أي شورى أهل الحلّ والعقد في الأمة بعقولهم لا بسيوفهم. وجعل أصول إدارة الأمة: التشريع الديمقراطي؛ أي الاشتراكي حسبما يأتي فيما بعد. وقد مضى عهد النبي (عليه السلام) وعهد الخلفاء الراشدين على هذه الأصول بأتمّ وأكمل صورها. ومن المعلوم أنّه لا يوجد في الإسلامية نفوذ ديني مطلقاً في غير مسائل

المنارة للاستشارات
ww

إقامة شعائر الدين، ومنها القواعد العامة التشريعية التي لا تبلغ مائة قاعدة وحُكم، كلُّها من أجَلّ وأحسن ما اهتدى إليه المشرِّعون من قبل ومن بعد.) [37]

وإطلالة سريعة على التراتيب الإدارية في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) تقفنا بوضوح على معالم الحكم الراشد، سواء في الشورى، أو في النصيحة المتبادلة بين الراعي والرعية، أو وضوح الحقوق والواجبات، والمتأمل لموقف النبي (صلى الله عليه وسلم) وحواره مع أبي بكر وعمر عقب غزوة بدر يدرك هذا بوضوح، كذلك في نصح الحباب للرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الغزوة وحوار سلمان الفارسي معه صلى الله عليه وسلم في الأحزاب يبين هذا بجلاء.

2- داوود وسليمان

وإذا تتبعنا نموذج داوود وسليمان عليهما السلام وجدنا ملامح الحكم الراشد الذي تستقر به المجتمعات ويعم به السلم الاجتماعي، وتهدأ به نفوس الرعية، فقد كان الحوار بين الراعي والرعية من أهم سمات تلك المرحلة، ونموذج الهدهد خير شاهد على هذا.

ويبدو ذلك واضحا من خلال حوار سليمان مع الهدهد، وصبره الطويل على بيان هذا الجندي من جنوده وهو يقول له: (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)النمل 22.

إن سليمان عليه السلام لم يعاجل هذا الجندي بقرار (عسكري) يرمي به خلف السجون، ولم يعاجله بالعقوبة قبل أن يسمع بيانه، ودفاعه، ووجهة نظره في القضية، (فلعل له عذرا وهو يلوم)، أو بتعبير الدستور الخالد لعله له (سلطان مبين). بهذا التعبير القرآني البديع الذي يشعر السامع، والقارئ بأن الدليل والبرهان: (سلطان)، بل سلطان (مبين) يخضع له الكبير والصغير، والراعي والرعية، والحاكم والمحكوم، على حد سواء، خضوعهم (للسلطان) بما تحمله هذه الكلمة(السلطان) من دلالة وتعبير. (إن الهدهد لما قدم قالت له الطير: ما خلّفك ؟ لقد نذر سليمان دمك. فقال هل استثنى؟ قالوا: نعم. قال: "لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين" قال: نجوت إذًا) [38]

ولاحظ –إن شئت – هذا الفهم البديع من هذا الجندي البسيط (الهدهد)، الذي يعرف أن سليمان لابد أنه استثنى، وعلق عقوبته على اتضاح الأمر، وبيان المتهم عن نفسه، ثم تقام عليه الحجة بعد، ولعل هذا يشعر بهذه الروح التي كانت منتشرة في تلك الدولة الفتية الرائدة، وهي أن أحدا لا يؤخذ بغير جريرة، أو بجريرة غيره، أو بغير بينة أو سؤال، وهذه سمة الدول الناهضة التي يأ

المنارة للاستشارات
ww

من فيها الفرد على نفسه، وماله، وأهله، وولده، حتى إن كانت القضية بينه وبين رأس الحكم، ورئيس الدولة. فسليمان هو من هو قيمة وإكباراً، والهدهد هو من هو، لكن الحق هو الحق، الذي يخضع له الكبير والصغير؛ لأنه (سلطان) العدالة المطلقة، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –: إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ويهزم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة. وقد كان ذلك من سليمان عليه السلام؛ فإنه يسمع ويرى مقالة الهدهد حتى يكون على بصيرة من الأمر وعلم؛ (إنه ليس ملكا جبارا في الأرض، إنما هو نبي، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل)[39].

وتبرز سمة الحاكم الصالح المصلح الذي لا يأخذ بغير جريرة ولا يعاجل بالعقوبة بغير بينة؛ بل يتأنى ويتريث حتى يستبين الأمر، وتنكشف الملابسات.

وقد بدا ذلك واضحا في تعليم الله نبيه داود في نبأ الخصم الذين تسوروا المحراب: ﴿ **إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾ ص 22-25، فقد عاتب الله نبيه داود؛ لأنه قضى في المسألة دون أن يتريث ويسمع وجهة نظر الخصم، وسليمان عليه السلام في موقفه مع الهدهد نموذج من نماذج القائد الممكن، والحاكم الصالح؛ فقد قبل عذره بعد أن تبين صدقه – وقد يظن بعض الناس- من أثر ضغط الواقع الذي يعيشونه أن تلك سمة فخرية من سمات القائد والحاكم، والأصل أن هذه صفة أساسية في الدولة التي يمكن لها أو تسعى إلى التمكين، فليست هبة من الحاكم يعطيها عندما تجود بها نفسه، ويحجبها إذا أراد ففي قوله تعالى: ﴿ **سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين** ﴾ (دليل على أن الحاكم يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم؛ لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه، وإنما صار صدق الهدهد عذرا؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد، وفي الصحيح ليس أحد أحب إليه العذر من الله عز وجل من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل)[40].

إن الدولة الممكنة تصحح المفاهيم المغلوطة في أذهان الناس تلك التي درجوا عليها؛ لأنهم ولدوا ونشأوا وَرُبوا في ظلال كثير من المفاهيم المغلوطة، وهذه إحدى سمات الدولة الممكنة أن تصحح الفكر، وتضع الأمور في نصابها.

المنارة للاستشارات
ww

وهل يتوقع من دولة تقوم على هذه السمات أن ينشأ فيها إرهاب، أو ينتشر فيها غلو أو تزدحم فيها أفكار ضالة، ومن أين تأتي في هذا الجو المفتوح والفكر المفتوح والحوار الحي الذي تحكمه ضوابط الحق والعدل والحرية، ما أحوج بلادنا العربية والإسلامية أن تتفهم هذه المعاني وتقف عليها حتى تدرك أنها تخسر في قضية الاستبداد كثيرا بل أضعاف ما تجنيه في ظل القهر والرهب للعباد والبلاد.

3- يوسف عليه السلام

أما نموذج يوسف عليه السلام وحكمه الراشد وإن كان في منزلة من الحكم ليست هي الحكم المطلق لمصر إلا أنه استطاع أن يلفت أنظار الناس إلى قيم العدل والحق والحرية والمساواة، سواء وهو في مرحلة البلاء أو مرحلة العطاء، فقد وصف يوسف بأنه (من المحسنين) مرتين مرة وهو داخل السجن في قوله تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ يوسف: [36]

ومرة وهو في سُدَّة الحكم في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ يوسف: [78].

ونلاحظ تعبير القرآن الكريم وبلاغته في قوله تعالى (**نراك**)، فلم يقولوا له سمعنا أنك من المحسنين، بل نراك وفيه من التعايش والعملية ما فيه، واللافت للنظر أن يوسف (عليه السلام) وصف بالإحسان في الحالتين السراء والضراء والعافية والبلاء فالنفوس السوية لا تغيرها المناصب والمسلم الحق يغير موقعه ولا يغير موقفه وحاكم بهذه الصورة كيف يتوقع أن تتعبأ النفوس ضده؛ وهي التي أحبته ورأت إحسانه في حالتيه في السراء والضراء، حتى يقول الإمام القرطبي: (فإحسانه، أنه كان يعود المرضى ويداويهم، ويعزي الحزانى، قال الضحاك: كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به، وإذا ضاق وسع له، وإذا احتاج جمع له، وسأل له.) [41]

ولا يتوقف نفع يوسف عليه السلام لهم على الجانب الحسي بل يسعى إلى تأسيس العقيدة الصحيحة (وينتهز هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة فكونه سجينا لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين، وجعلهم بالخضوع لهم أربابا يزاولون خصائص الربوبية، ويصبحون فراعين! ويبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما، فيطمئنهما ابتداء إلى أنه سيؤول لهم الرؤى، لأن ربه علمه علم الدنيا خاصا، جزاء على تجرده لعبادته وحده، وتخلصه من عبادة الشركاء.)[42]

المنارة للاستشارات
ww

4- ذو القرنين عليه السلام

وتبدو ملامح الحكم الراشد في حياة ذي القرنين من خلال تبيينه للمنهاج الحق؛ إذ يقول ردا على (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) يقول: ﴿ **قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا** (87) **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾ [88]

أعلن أن للمعتدين الظالمين عذابه الدنيوي وعقابه، وأنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم عذابا فظيعا «نكرا» لا نظير له في ما يعرفه البشر. أما المؤمنون الصالحون فلهم الجزاء الحسن، والمعاملة الطيبة، والتكريم والمعونة والتيسير.

وهذا هو دستور الحكم الصالح. فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم.

والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء.. وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسنا، ومكانا كريما وعونا وتيسيرا ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة.. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون. فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد. ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد.) [43]

وبهذا المنهاج الثابت والعدالة الناجزة تستقر الأمم وتهدأ النفوس ويقر قرارها، فتتفرغ للبناء والعطاء، وتتهيأ للعلم والعمل، وتلك من أنجح الأساليب في القضاء على متلازمة الاستبداد والإرهاب.

ثانيا: تشريح نموذج الحاكم المستبد والنظام الاستبدادي وبيان أثره في الشعوب والأمم والأفراد

إذا نظرنا إلى نموذج الاستبداد رأينا أظهر نموذج تناوله القرآن الكريم هو نموذج فرعون هذا الذي نقل القرآن الكريم فعلى الاستبدادي بقوله: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** (38) **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ** (39) ﴾ القصص: 38، 39.

المنارة للاستشارات
ww

وقوله: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) ﴾ الزخرف: 51- 54.

وقد جمع فرعون كما رصد القرآن الكريم من صفات العلو والاستكبار والطغيان والبغي وقهر الرعية والتسلط عليهم والفساد والإفساد والظلم ما جعله نموذجا للاكم المستبد، والطاغية الباغية الذي لا تقف أمانيه عند حد حتى اتخذ الناس سخريا.

وترتب على هذا آثار متعددة في قومه من أبرزها:

1- **ضلال قومه**؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ طه (79).

وكما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97) ﴾ هود: 96، 97.

2- **واستمرار الذل لهم واستمراؤهم له**، وتوطئة أكنافهم إلى كل مستبد كما قال تعالى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ الزخرف: (54).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) ﴾ الدخان: 30، 31.

وقصة رفضهم دخول الأرض المقدسة خير شاهد على تمكن هذه الصفة فيهم.

3- **وظهور المجتمع الطبقي** بصورة حادة تشحن النفوس بالغل والحسد والكراهية، وطغيان مفهوم المادة واتخاذها ميزانا للتعامل والقياس في كل شيء، كما قال القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: 4.

وفي هذا الجو ظهر الملأ الذي يطلب من فرعون قتل موسى ومن معه.

4- **طغيان المفهوم المادي للحياة**، فيبدو ذلك في كل شيء في الميزان والتعامل وقبول الحق أو رفضه قال القرآن الكريم: ﴿ نَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53)﴾ الزخرف: 51- 53.

المنارة للاستشارات
ww

وفي هذه الصفات تتحرك النفوس وتغلي كما تغلي المراجل وإن لم يظهر أزيزها بل كما تتحرك النار تحت الرماد، فيولد هذا عوجا في النفوس وضلالا في التفكير وبعدا عن السلم الاجتماعي لا يخفى على الراقبين. (44)

ثالثا: تأسيس وترسيخ مبدأ المسائلة والمحاسبة للراعي ضمانا لمنع الاستبداد

إن الحكومة من أي نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد، ما لم تكن تحت المراقبة الشديدة والاحتساب الذي لا تسامح فيه، كما جرى في صدر الإسلام فيما صدر على عثمان ثم على علي - رضي الله عليهما-، وكما جرى في عهد هذه الجمهورية الحاضرة في فرنسا في مسائل النياشين وبناما ودريفوس.

ومن الأمور المقررة طبيعة وتاريخياً أنه ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمة أو التمكن من إغفالها إلا وتسارع إلى التلبس بصفة الاستبداد، وبعد أن تتمكن فيه لا تتركه وفي خدمتها إحدى الوسيلتين العظيمتين: جهالة الأمة والجنود المنظمة، وهما أكبر مصائب الأمة وأهم معائب الإنسانية، وقد تخلصت الأمم المتمدنة نوعاً ما من الجهالة، ولكن بليت بشدة الجندية الجبرية العمومية، تلك الشدة التي جعلتها أشقى حياة من الأمم الجاهلة، وألصق عاراً بالإنسانية من أقبح أشكال الاستبداد، حتى ربما يصح أن يقال: إن مخترع هذه الجندية إذا كان هو الشيطان فقد انتقم من أدم في أولاده أعظم ما يمكنه أن ينتقم، نعم إذا مادامت هذه الجندية التي مضى عليها نحو قرنين إلى قرن آخر أيضاً تنهك تجلد الأمم وتجعلها تسقط دفعة واحدة.) (45)

وحديث الكواكبي عن الجندية المنظمة وأنها ثورث فساد أخلاق الأمة كأنه يتحدث عن ما يسمى بفرق الأمن المركزي في بعض بلادنا العربية التي لا يعرف الجندي فيها أين يقف فضلا عن أن يفكر في صوابية ما يفعل أو خطئه بل هو آلة صماء في يد جبار عنيد يضرب به أفراد رعيته وقتما يشاء فالجندية بهذه الصورة سوءة تحتاج غلى علاج لما يترتب عليها من فساد للأخلاق وإهارة للحقوق (فالجندية تُفسد أخلاق الأمّة؛ حيثُ تُعلِّمها الشّراسة والطّاعة العمياء والاتِّكال، وتُميت النّشاط وفكرة الاستقلال، وتُكلِّف الأمّة الإنفاق الذي لا يطاق؛ وكُلُّ ذلك منصرف لتأييد الاستبداد المشؤوم: استبداد الحكومات القائدة لتلك القوَّة من جهة، واستبداد الأمم بعضها على بعض من جهة أخرى. (46)

ولذا نتفهم نفور العربي قديما من الانتظام تحت ملك، والاستقرار تحت رياسة لأنه يرى فيها ما يتعارض مع طلاقة حريته، حتى فضلوا حياة البادية على الحاضرة؛ لما في الثانية من انطلاقة وبعد عن قيد القوانين وحبس الحضارة كما يظنون.

المنارة للاستشارات
ww

(فقد امتد بهم حب الاستقلال الشخصي والتجرد عن كل ما فيه ضغط وحجر إلى إبايتهم وتعاصيهم عن الدخول تحت نظام ملكي يرد شكيمتهم، ويكبح من جماحهم، كما قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفا ∴ أبينا أن نقر الذل فينا[47]

ومن أجل ذلك كانوا لا يألفون الحواضر، ويفرون من الإقامة داخلها، فرار الصحيح من المجذوم، يوجسون في أنفسهم أنها ذريعة للمسكنة، وسبيل للرغم من أنف العزة، وجرى على ذلك أبو العلاء المعري حين قال:

الموقدون بنجدٍ نارَ باديةٍ ∴ لا يحضرون؛ وفقدُ العز في الحضر

وقال ابن الرومي:

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ∴ من نسل شيبان بين الضال والسلم[48]

وحتى في شعر الصعاليك تجد ذلك المعنى كما قال الشنفرى في لامية العرب:

ولكن نفسا حرة لا تقيم بي ∴ على الضيم إلا ريثما أتحول[49]

وإذا عدنا إلى الحديث عن المسؤولية والجزاء وأنها نظرية مؤسسة في الفكر الإسلامي، ومبسوطة في الكتاب والسنة؛ خاصة فيما يتعلق بالراعي عرفنا كيف تكون هذه المنهجية صمام أمان من الاستبداد والإرهاب، ولذا كان من أوائل ما تكلم به أبو بكر أن قال: (أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إنشاء الله، والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إنشاء الله) [50]، وهو عين ما قاله الفاروق عمر حتى قال له بعضهم لو أسأت لقومناك بسيوفنا، فهذه البيئة الناضجة فكرا ووعيا وسلوكا وتعاملا هي نموذج التعامل الحي الذي يكفكف من نفوس الناس فلا تتضخم بعضها على بعض، هل رأت البشرية سلوكا مثل هذا السلوك وعلى هذا المستوى من القيادة الراشدة؟

رابعا: بناء العقلية الناقدة لدى الرعية

تلمح هذا في منهجيات القرآن الكريم في عرض الأدلة وطرح القضايا وتناول الأفكار وعرض مقولاته على العقل البشري المجرد، ولقد تعددت وتنوعت صور البيان القرآني عن هذه الحرية الفكرية التي يتيحها القرآن الكريم ويبيحها للإنسان حتى يصل إلى قرار سليم ووجهة صادقة.

لقد ربى القرآن أتباعه على النظر والتفكر وبصَّر الرعية بما لها وما عليها من خلال فتح أعينها على حقوقها وواجباتها، كما تكررت الدعوة في القرآن الكريم إلى السير والتفكر والاعتبار عشرات

المنارة للاستشارات
ww

المرات، فبنى فيهم منهجية قدح الشرارة لا منهجية ملء الوعاء، وبقدر وعي الرعية وفهمها لحقوقها وواجباته يمتنع فيها الاستبداد، لذا يحرص الطغاة البغاة في كل عصر ومصر على تجهيل الناس وحشو عقولهم بالأساطير، وكأنهم متواصون به من غابر الزمان، (إن الاستبداد والعلم ضدان متغالبان؛ فكلُّ إدارة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم، وحصر الرعية في حالك الجهل. والعلماء الحكماء الذين ينبتون أحياناً في مضايق صخور الاستبداد يسعون جهدهم في تنوير أفكار النّاس، والغالب أنَّ رجال الاستبداد يُطاردون رجال العلم وينكلون بهم، فالسعيد منهم من يتمكّن من مهاجرة دياره، وهذا سبب أنَّ كلَّ الأنبياء العظام - عليهم الصلاة والسلام وأكثر العلماء الأعلام والأدباء والنبلاء- تقلَّبوا في البلاد وماتوا غرباء. [51]

ولذا يحرص الإسلام على فك أغلال القرون الأولى، وتحرير العقول من الخرافة، وإطلاق أسارها من الأساطير، فالوعي بقدر السعي، والحراك على قدر الإدراك، على بصيرة.

"إنَّ الإسلام أولَّ دين حضَّ على العلم، وكفى شاهداً أنَّ أول كلمة أُنزلت من القرآن هي الأمر بالقراءة أمراً مكرراً، وأوَّل مِنَّةٍ أجلَّها الله وامتنَّ بها على الإنسان هي أنَّه علَّمه بالقلم. علَّمه به ما لم يعلم. وقد فهم السَّلف الأول من مغزى هذا الأمر وهذا الامتنان وجوب تعلُّم القراءة والكتابة على كلِّ مسلم، وبذلك عمَّت القراءة والكتابة في المسلمين أو كادت تعمُّ، وبذلك صار العلم في الأمة حراً مباحاً للكلِّ لا يختصُّ به رجال الدّين أو الأشراف كما كان في الأمم السابقة، وبذلك انتشر العلم في سائر الأمم أخذاً على المسلمين! ولكنْ؛ قاتل الله الاستبداد الذي استهان بالعلم حتى جعله كالسلعة يُعطى ويُمنح للأميين، ولا يجرؤ أحد على الاعتراض، أجل؛ قاتل الله الاستبداد الذي رجع بالأمة إلى الأمية، فالتقى آخرها بأوّلها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المدققون: إنَّ أخوف ما يخافه المستبدون الغربيون من العلم أن يعرف الناس حقيقة أنَّ الحرية أفضل من الحياة، وأن يعرفوا النفس وعزَّها، والشّرف وعظمته، والحقوق وكيف تُحفظ، والظلم وكيف يُرفع، والإنسانية وما هي وظائفها، والرّحمة وما هي لذّاتها. [52]

إن البيئة التي ينتشر فيها بناء الوعي تقل فيها حركة الاستبداد وبالتالي ينعدم الإرهاب لأن الكل مركب تركيبا طرديا فإذا وجد الجهل، ولد الاستبداد، وأنجب الإرهاب.

خامسا: بيان التوازن بين حقوق الراعي والرعية

وبدا هذا في النموذج المحمد (صلى الله عليه وسلم) فلم تعرف البشرية أمة قال فيها الحاكم للمحكوم لقد ضرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثالا رائدا للبشرية في بيان التوازن بين حقوق

المنارة للاستشارات
ww

الراعي وحقوق الرعية، فقد نهاهم أن يقوموا له كما تقوم الأعاجم، وكان فيهم كأحدهم، ولما هاجر ما عرفه الناس إلا عندما رأوا أبا بكر (رضي الله عنه) قام فظلله، وفي الوقت نفسه إذا جد الجد أمضى رأيه الذي لا يتلجلج فيه، وكأنه المقصود بقول سعد بن ناشب:

إذا هـم ألقـى بـين عينـه همـه ∴ ونكب عن ذكر العواقب جانبا[53]

فنشأ الصحابة على الوعي بهذا التوازن الراقي فتكرر فيهم: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم)، وفي هذا المقام يعرف الناس ما لهم فلا يطلبون أكثر منه، وما عليهم فلا يترخصون فيه وهذا من أدعى الأسباب إلى نفي الاستبداد وما يترتب عليه من إرهاب.

سادسا: تحرير العقل مما سوى الله تعالى

إن رسالة القرآن الأولى هي تحرير الإنسان مما سوى الله، ولذا كانت دعوة القرآن إلى التوحيد دعوة قوامها حرية الاختيار، وطلاقة الإرادة، ولقد تكرر في القرآن الكريم دلائل هذا التحرير من مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾ الإنسان: (3).

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا** ﴾ الإنسان: (29).

وقوله: ﴿ **ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا** ﴾ النبأ: (39).

وقوله: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ البقرة: (256).

إن العبودية لله وحده - متمثلة في تلقي الشرائع والقوانين والقيم والموازين منه وحده - هي نقطة الانطلاق والتحرر البشري. الانطلاق والتحرر من سلطان الجبارين والطغاة، ومن سلطان السدنة والكهنة، ومن سلطان الأوهام والخرافات، ومن سلطان العرف والعادة، ومن سلطان الهوى والشهوة. ومنك لسلطان زائف يمثل الإصر الذي يلوي أعناق البشر ويخفض جباههم لغير الواحد القهار.

ودعاء المؤمنين: ﴿ **ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ : يمثل شعورهم بنعمة الانطلاق والتحرر من العبودية للعبيد؛ كما يمثل خوفهم من الارتداد إلى ذلك الدرك السحيق.) [54]

ولقد تأثر الصحابة بمنهاج النبوة في الحرية بأبعادها ومجالاتها، فأتاحوا لمن معهم سبل التعبير والبيان، في غير حجر ولا تسفيه، حتى صدعت المرأة برأيها في صحن المسجد لعمر(ﷺ)، خليفة المسلمين، برأي خالفته فيه، وعاد عمر إلى رأيها لما رأى فيه من صدق الحجة، ووضوح المحجة،

المنارة للاستشارات
ww

وقوة البيان، ونصاعة البرهان، بل جعلت جارية ترد على بعض الصحابة رأيهم، وتصحح لهم فكرتهم، (فعن الأحنف بن قيس قال: كنا بباب عمر بن الخطاب ننظر أن يؤذن لنا فخرجت جارية فقلنا سرية أمير المؤمنين فسمعت فقالت: ما أنا بسرية أمير المؤمنين، وما أحل له، إني لمن مال الله (تعالى) قال فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، فدخلنا عليه فأخبرناه بما قلنا وبما قالت فقال: صدقت، ما تحللي، وماهي لي بسرية، وإنها لمن مال الله(ﷻ)، وسأخبركم بما أستحل من هذا المال، أستحل منه حلتين: حلة للشتاء، وحلة للصيف، وما يسعني لحجي وعمرتي، وقوتي وقوت أهل بيتي، وسهمي مع المسلمين كسهم رجل لست بأرفعهم ولا أوضعهم.) [55]

بهذه الصورة الإنسانية البديعة البسيطة الباهرة يتعامل خليفة المسلمين وأمير المؤمنين لا مع الأحرار بل مع كل شرائح المجتمع المسلم، وبهذه الثقة من الحرية والأمان تتحدث الجارية، بل يصدق عمر على قولها، ويعيد نفس عباراتها، ويزيدهم تفهيما وتعليما، ويزيدنا ثقة في قيمة الحرية في الإسلام ولدى الجيل الفريد من الصحب الكرام.

وموقف عمر من الآمر له بالتقوى، بقوله: لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها[56]، آية من آيات الحرية، وسمة من سمات حضارة الإسلام، وموقف علي (رضي الله عنه) من اشتراطه في الخلافة تمسكه بحقه في حرية الرأي، وطلاقة الاجتهاد، وعدم تقيده باجتهاد الشيخين أبي بكر وعمر بيّنٌ فيه الحرص على الحرية أي بيان.

ومن حرص الرسول (ﷺ) على حرية الإنسان أمره للصحابة بالهجرة إلى الحبشة؛ فإن فيها ملكا عادلا، لا يظلم عنده أحد، والسنة النبوية المطهرة حافلة ببيان قيمة الحرية، وإعلاء شأنها؛ فالإنسان هو محور الحضارة، وهدف الرسالات والنبوات، وماذا يفيد الإنسان من مؤسسات مَشِيدة، وقصور عَتِيدة، لا يوجد فيها لحرية الإنسان مكان، ولا لرأيه مكانة، ولقد حفظنا عن بعض شيوخنا: أن الإنسان قبل البنيان، والساجد قبل المساجد، وصدق المتنبي عندما قال:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ∴ إذا لم يكن فوق الكرام كرام[57]

وكما حرر الإسلام العقل من الخرافة حرر القلب مما سوى الله فلا عبودية إلا له، ولا طاعة إلا في رضاه، ولذا فالمستبد أخوف ما يخاف من ارتباط الوعي بالدين؛ لأنه وعي سليم مؤسس على تقوى من الله ورضوان، وليس على شفا جرف هار، (والمستبدون الشرقيون أفئدتهم هواء ترتجف من صولة العلم، كأنّ العلم نار وأجسامهم من بارود. المستبدون يخافون من العلم حتى من علم الناس معنى كلمة (لا إله إلا الله)، ولماذا كانت أفضل الذكر، ولماذا بُني عليها الإسلام. بُني الإسلام، بل وكافة الأديان على (لا إله إلا الله)، ومعنى ذلك أنّه لا يُعبد حقاً سوى الصانع الأعظم، ومعنى

المنارة للاستشارات
ww

العبادة الخضوع ومنها لفظة العبد، فيكون معنى لا إله إلا الله: "لا يستحق الخضوع شيءٌ غير الله". وما أفضل تكرار هذا المعنى على الذاكرة آناء الليل وأطراف النهار تحذُّراً من الوقوع في ورطة شيء من الخضوع لغير الله وحده. فهل - والحالة هذه - يناسب غرض المستبدين أن يعلم عبيدهم أنْ لا سيادة ولا عبودية في الإسلام ولا ولاية فيه ولا خضوع، إنما المؤمنون بعضهم أولياء بعض؟ كلا؛ لا يلائم ذلك غرضهم، وربما عدّوا كلمة (لا إله إلا الله) شتماً لهم! ولهذا؛ كان المستبدون –ولا زالوا- من أنصار الشِّرك وأعداء العلم. [58]

سابعا: بيان المنهاج الحق وثبات الموازين دون تحيف أو تزيد

ويبدو ذلك جليا في تعامل ذي القرنين مع رعيته، ووضوح هذا المنهاج في ناظريه حين قال: ﴿ **أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)** ﴾ الكهف: 87، 88.

وإذا بدا المنهاج الحق والعادل واضحا استقرت النفوس وهدأت الضمائر(لقد أثنى الله (تعالى) على جوابه بهذا العرض، وبين صلاح منهجه في الحكم [59]

ولم يكن ذو القرنين ملكا عاديا، بل كان ملكا ذكره التاريخ، وخلده القرآن، وتكفي إشارة القرآن إلى عظم أخباره بقوله (تعالى): ﴿ **سنتلوا عليكم منه ذكرا** ﴾ ، يعني: طرفا من أخباره، وليس كل أخباره؛ فهي من الكثرة بمكان، وذلك ما لم يتكرر في قصص القرآن في قصة أخرى، والمتأمل لقصته يجد أنها تعطي صفات لا محيد عنها، (إحداها: أنه كان ملكا صالحا عادلا. الثانية: أنه كان ملهما من الله. الثالثة: أن ملكه شمل أقطارا شاسعة، الرابعة: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكانا كان مجهولا وهو عين حمئة. [60]

و هذا فيه من سعة الملك، واستقامة المنهاج، واستقرار الحضارة، وعمق التمكين ما فيه.

إن بيان ذي القرنين عن منهجيته في التعامل مع رعيته فيه من ضمان الحرية والعدالة ما يعد منهاجا يلتف حوله الحاكم والمحكوم، (إن قوله هذا يضع أساساً ودستوراً إيمانياً لمطلق الحياة، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، وعلاقة الفرد بنفسه وبمن حوله. وعلاقة الإنسان بالعمل الصالح أو بالذنوب [61].

وإذا وجدت الحرية والعدالة، وجد معهما البناء والعمران، والتفكير والابتكار، عندما يجد الفرد في أمته ومجتمعه ثبات منهاج التعامل في الثواب والعقاب، والتكريم والتجريم، يدفعه ذلك بلا ريب إلى التفكير الحر، والإنتاج المفيد؛ لأنه يعلم أن جهده مشكور لا منكور، وأن عطاءه مأجور

المنارة للاستشارات
ww

لا مأزور، وأن يدا باغية لن تحطم رأسه إذا فكر في أمر لا تعده العقول المستبدة من المألوف المعروف، كما حدث ذلك في أمم سخرت من العلم، واعتنقت الخرافة، وأسلمت قيادها لمجموعة من ضُلَّال الأحبار والرهبان، (وهذا الذي خطه ذو القرنين، هو دستور الحكم الصالح، فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير، والجزاء الحسن عند الحاكم، والمعتدي الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء... وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسناً، ومكاناً كريماً وعوناً وتيسيراً، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة.. عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج. أما حين يضطر بميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون في الدولة؛ وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون، فعندئذ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد، ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد.) [62]

ثامنا: تجنيب التعامل الأمني مع ذوي الأفكار المنحرفة

وقد سجل القرآن الكريم صورة من أرقى صور التعامل مع أصحاب الأفكار المنحرفة، وهل هناك أدل على هذا من حوار القرآن مع إبليس، ومناقشته مناقشة بليغة وشمل ذلك مواضع متعددة من القرآن الكريم ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** (11) **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** (12) **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** (13) **قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** (14) **قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ** (15) **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (16) **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** (17) **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ** (18)﴾

"لقد جعل إبليس له رأيا مع النص. وجعل لنفسه حقا في أن يحكم نفسه وفق ما يرى هو من سبب وعلة مع وجود الأمر.. وحين يوجد النص القاطع والأمر الجازم ينقطع النظر، ويبطل التفكر وتتعين الطاعة، ويتحتم التنفيذ.. وهذا إبليس- لعنه الله- لم يكن ينقصه أن يعلم أن الله هو الخالق المالك الرازق المدبر الذي لا يقع في هذا الوجود شيء إلا بإذنه وقدره.. ولكنه لم يطع الأمر كما صدر إليه ولم ينفذه.. بمنطق من عند نفسه: ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾.. فكان الجزاء العاجل الذي تلقاه لتوه:

﴿ **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها، فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾.. [63]

المنارة للاستشارات
ww

تاسعا: إيجاد بدائل سوى المواجهة مع الاستبداد السياسي

وتبدو هذه البدائل في البحث عن مناخ أخصب للدعوة والرسالة لمن لم يتهيأ له جو الدعوة في بيئة تقوم على الاستبداد والاستعباد، ونموذج موسى (عليه السلام) وخروجه من أرض مصر مثال ظاهر باهر على هذا، كما قال القرآن الكريم: ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (21) **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** (22) ﴾ القصص: 21، 22.

"ومرة أخرى نجد موسى- عليه السلام- فيقلب المخافة، بعد فترة من الأمن. بل من الرفاهية والطراءة والنعمى. ونجده وحيدا مجردا من قوى الأرض الظاهرة جميعا، يطارده فرعون وجنده، ويبحثون عنه في كل مكان، لينالوا منه اليوم مالم ينالوه منه طفلا. ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا، ولا تسلمه لأعدائه أبدا. فها هو ذا يقطع الطريق الطويل، ويصل إلى حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾.. لقد انتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين. وصل إليه وهو مجهود مكدود. وإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس موسى- عليها لسلام- وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء. والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولا، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما.

ولم يقعد موسى الهارب المطارد، المسافر المكدود، ليستريح، وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للمعروف. ﴿ **فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ .. إنه يأوي إلى الظل المادي البليل بجسمه، ويأوي إلى الظل العريض الممدود. ظل الله الكريم المنان. بروحه وقلبه: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾. رب إني في الهاجرة. رب إني فقير. رب إني وحيد. رب إني ضعيف. رب إني إلى فضلك ومنك وكرمك فقير محووج.

ونسمع من خلال التعبير رفرفة هذا القلب والتجاءه إلى الحمى الآمن، والركن الركين، والظل الظليل.

نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحي، والانعطاف الرفيق، والاتصال العميق: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [64]

إن في الأرض متسعا لأصحاب الدعوات إذا ضاقت بهم بلادهم فكل بلاد الله بلادهم، وفي سعة أخلاق الغرباء الصالحين ما يغني عن شؤم الأقرباء المخالفين، ولذا دعا النبي صلى الله عليه

المنارة للاستشارات
ww

وسلم أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة أولا وإلى المدينة ثانيا، وفي إيجاد هذه البدائل ما يفوت على أصحاب الطغيان مرادهم حتى تكتمل البذرة وتنضج الثمرة ويصلب العود.

عاشرا: تثقيف الفرد بأدوات الحكم الرشيد ومصطلحاته

ومن الملامح المنهجية التي استخدمها القرآن الكريم في فك التلازمية بين الاستبداد السياسي والإرهاب تثقيف الفرد بمعاني الحكم الرشيد وتربية الأمة على هذه المعاني مدارسة وممارسة ووعيا وسعيا، فيكثر في القرآن الكريم الحديث عن الشورى والنصح والمحاورة حتى حاور الله تعالى إبليس وسجل القرآن الكريم هذه المحاورات بصورة تبين لكل باصر أن أفضل سبيل للإقناع هو الحوار والكشف حتى ينضج الرأي أو يحترق، وحتى تنهض الحجة أو تنهار.

ملامح المنهجية القرآنية في علاج قضية الاستبداد والإرهاب

وإذا تأملنا منهجية القرآن الكريم في علاج الاستبداد وفك الاشتباك بينه وبين الإرهاب يمكننا أن نستخرج الآتي:

1- أن هذه المنهجية مطردة مستمرة ولها معالم ثابتة، شأن كل منهجيات القرآن الكريم في العلاج والتناول.

2- أنها منهجية متعددة الجوانب فهي على مستوى الفكر وعلى مستوى السلوك ففي الجانب الفكري تعالج الوعي الخاطئ والفكر المغلوط وتفكك الترابط بين الفهم الخاطئ والسلوك الشائن.

3- أنها ليست في علاجها متناولة جانبا على حساب جانب ولا هضمت حق فريق لحساب فريق بل هي على مستوى الراعي والرعية، وفي التأمل في النماذج المذكورة غناء

4- أنها منهجية تجمع بين التأصيل والتنزيل، ولا تقف عند حدود التأطير والتبيين.

5- أنها تسعى إلى توعية النخبة أو (الملأ) كما تسعى إلى توعية عامة الأمة. فهي تخلق جوا عاما يساعد على النهوض.

6- أنها منهجية واقعية بعيدة عن المثال والرمزية تنطلق من الواقع وتحلق به.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة الماتعة في زوايا وجنبات القرآن الكريم يمكننا أن نرصد الآتي:

1- أن الاستبداد الحقيقي هو الاستبداد السياسي وأن كل صورة من صور الاستبداد إنما هي فرخه وفرعه، ولا تنفك عنه.

المنارة للاستشارات
ww

2- أن هناك صلة كبيرة بل متلازمة بين الاستبداد السياسي والإرهاب وفك هذا الارتباط مهمة المصلحين والمفكرين والساسة والمتنفذين.

3- أن خصائص الاستبداد السياسي بيئة منعشة للإرهاب وحاضنة طبيعية لنشوئه ونمائه بل بقائه.

4- أن هناك علاقة وثيقة بين الاستبداد السياسي والإرهاب وأنها علاقة طردية.

5- أن للقرآن منهجية واضحة المعالم بينة الملامح ظاهرة القسمات في علاج الاستبداد السياسي وفك الارتباط بينه وبين الإرهاب.

6- أن منهجية القرآن الكريم في علاج الاستبداد والإرهاب منهجية واقعية ومتنوعة الجوانب، متعددة الزوايا والأخذ بها يحتم الأخذ بمجموعها إن لم يكن جميعها حتى يكون العلاج ناجعا.

أهم المصادر والمراجع

1- أسباب ظاهرة الإرهاب، في المجتمعات الإسلامية، رؤية ثقافية، إعداد، د. عبد الله بن محمد العمرو.

2- الإسلام والاستبداد السياسي، للعلامة الشيخ محمد الغزالي، ط: نهضة مصر ط: السادسة 2005م.

3- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

4- تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، الناشر: دار التراث- بيروت، الطبعة: الثانية - 1387هـ

5- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ

6- تفسير الشعراوي، الخواطر: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997م).

7- تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م -

8- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م

9- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000م.

المنارة للاستشارات
ww

10- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

11- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

12- الحرية في الإسلام، للعلامة محمد الخضر حسين، دار الاعتصام بدون تاريخ.

13- حرية الفرد وأثرها في الشهود الحضاري للأمة المسلمة، رمضان خميس ص: 78، بحث منشور في حولية كلية دار العلوم جامعة المنيا مصر.

14- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ط: دار الأنصار، محمد الغزالي.

15- ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، ت: د اميل بديع يعقوب، ص: 60، ط: دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط: الثانية، 1996/1417.

16- ديوان المتنبي ط: دار الزهراء، بيروت لبنان، عناية د عبد الوهاب عزام رحمه الله.

17- ديوان سحيم: عبد بني الحسحاس، ت: عبد العزيز الميمني، ط: دار الكتب المصرية، 1369هـ/ 1950م.

18- ديوان عمرو بن كلثوم جمع تحقيق وشرح د إميل بديع يعقب، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: أولى، 1411هـ، 1991م

19- ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه د اميل بديع يعقوب، ط: دار الكتاب العربي، ط: أولى، 1411هـ 1991م.

20- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، للعلامة محمد الغزالي، ط: الشروق، ط: الثالثة 1989م.

21- السنن الكبرى للبيهقي السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنات، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م

22- شخصية فرعون في القرآن، رسالة ماجستير من إعداد قاسم توفيق قاسم خضر

23- الشعر والشعراء، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، الناشر: دار، الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423هـ

24- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت

25- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ط: مؤسسة اقرأ، 2013م. للكواكبي.

26- الطريق من هنا، ط نهضة مصر، ط: أولى، محمد الغزالي.

27- الغزو الثقافي يمتد في فراغنا للعلامة محمد الغزالي، ط: الشروق، ط: الأولى، 1418هـ 1998م.

المنارة للاستشارات
ww

28- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: 1416هـ)، الناشر: دار القلم–دمشق، تخريج، الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، 1427 هـ

29- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ

30- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري المتوفى سنة 975، ضبطه وفسر غريبه صححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكري حياني الشيخ صفوة السقا مؤسسة الرسالة.

31- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م.

32- لسان العرب لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر–بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

33- ليس من الإسلام، ط: نهضة مصر، ط أولى، محمد الغزالي.

34- محاسن التأويل: المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ

35- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، نهضة مصر، محمد الغزالي.

36- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (المتوفى909هـ)، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م

37- المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط الثانية، 1411هـ، 1991م، ص 60، 59.

38- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

39- من هنا نعلم، للعلامة محمد الغزالي، ط: نهضة مصر، ط أولى، 1997م.

الهوامش:

1- انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط الثانية،1411هـ،1991م،ص 59،60.

2- لسان العرب (3/ 81).

3- لسان العرب (2/ 69).

4- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: 17.

المنارة للاستشارات

ww

5- السابق: 17.
6- طبائع الاستبداد: 9. بتصرف يسير.
7- طبائع الاستبداد: 17، 18.
8- السابق: 17، 18.
9- السابق: 38، 38.
10- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (3/ 100)، لسان العرب (1/ 436).
11- مقاييس اللغة (2/ 447).
12- الجامع لأحكام القرآن: (336/11.
13- أسباب الإرهاب، ص: 4.
14- طبائع الاستبداد: 21.
15- فقه السيرة ،للغزالي: ص403.
16- طبائع الاستبداد: 34.
17- الإسلام والاستبداد السياسي: ص57.
18- السابق ، ص140.
19- في ظلال القرآن (5/ 2683.
20- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص 118.
21- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص 58.
22- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، ص33.
23- الطريق من هنا: ص33.
24- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، ص59.
25- ليس من الإسلام ، ص44.
26- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص 186.
27- راجع الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ص 140 بتصرف يسير.
28- راجع الإسلام والاستبداد السياسي ص 39 بتصرف يسير.
29- طبائع الاستبداد: 110.
30- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص13. وراجع طبائع الاستبداد: 111.
31- الإسلام والاستبداد السياسي ص 36 محمد الغزالي.
32- الإسلام والاستبداد السياسي ص 38 محمد الغزالي.
33- الاستبداد والإرهاب مقال لنبيل البكري ، العربي الجديد، 4، يناير، 2015م.
34- السابق.
35- طبائع الاستبداد: 18.
36- جامع البيان: (10/ 163)
37- طبائع الاستبداد: 19.
38- تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 348 بتصرف يسير.

المنارة للاستشارات
ww

39- الظلال ج5 ص 2638.

40- الجامع لأحكام القرآن، ج13 ص189 ، والحديث أخرجه البخاري، ج 6 ص 2698 من حديث سعد بن عبادة برقم 6454، ومسلم ج 2 ص 1136.

41- تفسير القرطبي: (9/ 190)

42- في ظلال القرآن: (4/ 1988)

43- في ظلال القرآن (4/ 2291)

44- يمكن أن يراجع هذا باستفاضة في: شخصية فرعون في القرآن، رسالة ماجستير من إعداد قاسم توفيق قاسم خضر ص 162 وما بعدها، ففيه تفصيل وإفاضة لهذه المعاني التي رسخها طغيان فرعون في شعبه.

45- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: 9.

46- طبائع الاستبداد: 9.

47- انظر ديوانه، جمع تحقيق وشرح د إميل بديع يعقب، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: أولى، 1411هـ،1991م: ص 89، والبيت من معلقته المشهورة.

48- الحرية في الإسلام، للعلامة محمد الخضر حسين، ص: 13، دار الاعتصام بدون تاريخ. وراجع: حرية الفرد وأثرها في الشهود الحضاري للأمة المسلمة، رمضان خميس ص: 78، بحث منشور في حولية كلية دار العلوم جامعة المنيا مصر.

49- انظر ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، ت: د اميل بديع يعقوب،ص: 60، ط: دار الكتاب العربي بيروت لبنان،ط: الثانية،1417/1996.

50- تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 210).

51- طبائع الاستبداد: 26.

52- طبائع الاستبداد: 26.

53- الشعر والشعراء (2/ 685).

54- في ظلال القرآن: (1 / 328، 329).

55- السنن الكبرى للبيهقي: (6 / 353)، وانظر: كنز العمال: (1 / 162).

56- فواتح الرحموت: 497/3، ومحض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب، للمبرد، 601/3.

57- المتنبي: انظر ديوان المتنبي ط: دار الزهراء، بيروت لبنان، عناية د عبد الوهاب عزام رحمه الله. ص: 311

58- طبائع الاستبداد: 26.

59- التحرير والتنوير: (16 / 26)، بتصرف.

60- التحرير والتنوير: (16 / 20)، اللباب في علوم الكتاب: (12 / 553)، المحرر الوجيز: 538/3، ابن زمنين: 78/3.

61- تفسير الشعراوي: (/ 579).

62- في ظلال القرآن: (5 / 79).

63- في ظلال القرآن (3/ 1266.

64- في ظلال القرآن (5/ 2686.

المنارة للاستشارات
ww